

# أيديولوجية التعدد الثقافي تخلق إرهابها الخاص

## قضية سلمان رشدي تثبت أن التعدد الثقافي لا يحقق السلام



استفادوا من التعدد ولكنهم لم يقبلوه

حزب واحد حيث تحل الأيديولوجيا محل الدستور كما هو الحال في الصين، والجماعات الأصولية الإسلامية في العالم العربي هي المثال على المجموعات التي تمارس الرقابة والقمع من خارج السلطة السياسية. لكن هناك رقابة في العالم الغربي أيضا، في بريطانيا مازال الحظر مفروضا على إجراء مقابلات إذاعية مع المتعاطفين مع منظمة الجيش الأيرلندي السري، والحيولة دون سوء استعمال السلطة. الأعمال الأدبية أكثر رسوخا مما هو في الدول الدكتاتورية.

ويتساءل ووجه لماذا حرية التعبير؟ ويضيف "باختصار يمكن إيراد ثلاث احتجاجات رئيسية لصالح حرية التعبير: أولا حرية التعبير ضرورية للوصول إلى الحقيقة. ثانيا حرية التعبير شرط من شروط قيام الشعب بحكم نفسه ومراقبة السلطة، وبالتالي الحيولة دون سوء استعمال السلطة. ثالثا حرية التعبير جزء لا يتجزأ من حق الفرد في تطوير شخصيته وإثبات هويته. هذه الاحتجاجات الثلاث مترابطة منطقيا وواقعا، ولكن يمكن في الوقت نفسه الفصل بينها والتوقف عند كل واحدة على أفراد."

**أيديولوجية التعدد الثقافي ذات حدين؛ من جهة تتيح للشعوب أن تكون مختلفة ومن جهة أخرى تعرقل المساواة**

ولفت إلى أن حرية التعبير لا تقتصر على الحوار، أو المواجهة الكلامية، في الفضاء المجتمعي العام فقط، بل هي تمتد لتشمل كل العلاقات الاجتماعية، وعادة ما تسهل تقبل حرية الرأي في الفضاء المجتمعي بسهولة أكثر مما في الفضاءات الصغيرة ذات الطابع الشخصي.

ويرى أن الطريق مازال طويلا كي يصبح الوعي بحقوق الإنسان جزءا حيويا من حياتنا الفريدة والجماعية، إذ نمة مسافة بين الاعتراف النظري بالديمقراطية وبين الفهم الحقيقي لها وتطبيقاتها على أرض الواقع، وما يجري الآن من الترويج من حالات ملموسة يظهر كم أن هذه المسافة كبيرة، كانت الترويج تقف في الساحة الدولية إلى جانب الذين يكافحون "الإبارتيد" في وقت كان الناس الذين يختلفون بشريتهم عن لون بشرتنا قليلين في مدننا.

الثقافة تتيح المجال للمهاجرين لأن يحصلوا على حقوقهم السياسية قبل أن يصبحوا مؤهلين للانخراط في المجتمع بوصفهم أفرادا، مثلهم مثل الآخرين". وبلغت أريكسون إلى أن أيديولوجية التعدد الثقافي ذات حدين؛ من جهة تتيح للشعوب أن تكون مختلفة، ومن جهة أخرى تعرقل معاملتهم على قدم المساواة، هكذا يصرخ الأشخاص بانهم ينتمون إلى ثقافة مختلفة حين تكون نمة امتيازات ومنافع لهم، وإلا فإنهم يطالبون بالمساواة والمعاملة بالمثل. وهكذا تخلق أيديولوجية التعدد الثقافي إرهابها الثقافي الخاص بها؛ إنها تستخدم الثقافة كطريقة أخرى للتأكيد على الحدود والبقاوة، الكثير من أفراد الأقليات القومية يرفضون الظهور بمظهر الأقليات، ولكن في مجتمع تسود فيه النسبية الثقافية وأيديولوجية التعدد الثقافية، تراهم يصرخون باستمرار أن لهم ثقافة وتقاليد وأنهم، يا للغرابة، فخرون بها!

### حرية التعبير

أما ووجه فيشير في دراسته المعنونة بـ"حرية التعبير الخطيرة" إلى أن قضية رشدي ومحاولته قتل ناشر أعماله وليام نيجورد ساهمت في فتح أعيننا على الواقع العالمي، حين يتعلق الأمر بانتهاك حقوق الإنسان، من خلال قمع حرية التعبير يتم قمع حرية الناس ومنعهم من التعبير عن آرائهم في مختلف أنحاء العالم، ويجري ذلك على يد السلطات أو على يد المجموعات الدينية الأصولية أو العصابات الإجرامية المنظمة.

وما تعرض له رشدي ومترجموه وناشروه بعد إرهابا عالميا وتحريضا عليه؛ بمعنى أن الناس يعبرون الحدود من أجل قتل مواطنين ينتمون إلى بلد آخر عبروا فيه عن آرائهم داخل حدوده.

ويرى ووجه أن الرقابة سلاح تستخدمه السلطات السياسية ضد معارضيه والمناوئين لها، وإلى جانب الديمقراطية الغربية المستقرة، توجد اليوم ديمقراطيات حديثة العهد، دول تعرفت إلى الديمقراطية تواء، وهي معرضة للخطر كما هو الحال في بلدان المعسكر الاشتراكي السابق، والممارسة الديمقراطية لا تنصب فقط على تبني دستور ديمقراطي، بل تنصب أساسا على الوعي الديمقراطي، ليس بين جمهور المنتخبين وحدهم بل بين كل الناس. ويضيف أنه توجد هناك دول دكتاتورية يقودها انقلابيون، دول ذات

في السنوات الأخيرة بتنا نرى أكثر البلدان تعددا وقبولا بالاختلاف في قوانينها ودساتيرها تعاني من هذا الاختلاف، حيث يحاول الكثير من المهاجرين استغلال الثغرات وجو الحرية لفرض أنماط تفكيرهم على المجتمع الذي استقبلهم، وهذا ما نراه مثلا لدى بعض مسلمي أوروبا الذين يحاولون فرض قناعاتهم. ظاهرة معقدة يفككها النرويجيان توماس هيلاند أريكسون وبيتر نورمان ووجه في كتابهما المشترك "الإرهاب الثقافي وحرية التعبير".

وأستراليا، وساهم في ذلك فلاسفة مثل ريتشارد روتي، فضلا عن مساهمة التيار "الثقافونولوجي" حول الاعتناء الثقافي.

وأكد أنه من الصعب الاعتراض على حق الأقليات وغيرها من الجماعات في الحفاظ على تقاليدها ولغاتها وثقافتها، إن التاريخ مليء بالاحتواء الهجومي والفظ، أي الإبادة الثقافية، للجماعات الغربية، ولهذا فإن فكرة النسبية الثقافية أمر مرحب به، ولكن التسامح والتساوي الثقافي أخذا يسدان الحلق سواء لدى الأقليات نفسها أو لدى ممثلي الأثرية في المجتمع.

في الولايات المتحدة، مثلا، تحولت النسبية الثقافية إلى ما يشبه المهزلة، حيث يعد كل شخص إلى القول إن في وسعه أن يفعل ما يشاء استنادا إلى خلفيته الثقافية، هناك تدعى هذه الإستراتيجية "مطلب الدفاع الثقافي"، وتبع ذلك فإن انتهاك القانون الذي تقوم به الأقليات يجب أن يُغفر لأن ذلك لا يعتبر انتهاكا في التقاليد الجماعية المنتهكة، ويصير الأمر أشبه بحالة قتل الزوجات في "ترينيداد" في القرن الماضي؛ فقد صرحوا في المحكمة أن الثقافة الهندوسية التقليدية تعتبر الزوجة ملكا شخصيا للرجل يحق له التصرف بها كما يشاء دون أن يحق لأحد التدخل.

ويوضح أريكسون أن السوسولوجي الثقافي الدنماركي محنت أوميت نجف اقترح التمييز بين نوعين من العنصرية: العنصرية اليمينية الفاشية التي تعتبر الفروقات بين المجموعات البشرية أمرا وراثيا، والعنصرية اليسارية التي تبرز كل ما يقوم به أفراد "الجماعات الغريبة" تحت غطاء أن "الأمر هكذا في ثقافتهم"، بحيث لا تتم معاملتهم ككائنات أخلاقية بشكل جدي.

ونجف، المولود في تركيا، يناهض نفسه عن إضفاء الطابع الرومانسي على ثقافات المهاجرين، لأن أمرا كهذا يحول دونهم لأن يتصرفوا كأفراد معاصرين ذوي حقوق كاملة. فيما يحاجج الكندي نينو ريشي في السياق ذاته، فيقول إن "أيديولوجية التعدد

محمد الحماصي  
كاتب مصري

انطلق كل من الكاتب توماس هيلاند أريكسون والكاتب بيتر نورمان ووجه في كتابهما المشترك "الإرهاب الثقافي وحرية التعبير" من قضية الروائي الهندي سلمان رشدي، الذي أثار جدلا واحتجاجات واسعة وصلت إلى صدور فتوى بإهدار دمه من آية الله الخميني في الثمانينات على خلفية روايته "آيات شيطانية". وناقش المؤلفان قضيتي الإرهاب الثقافي وحرية التعبير خاصة في ما يتعلق بالأقليات المهاجرة إلى الغرب ومحاولاتها تطبيق تقاليدها ولغاتها وثقافتها داخل المجتمع، حيث أشار أريكسون في مقدمة دراسته التي عنوانها بـ"الإرهاب الثقافي" إلى قول رشدي "إنه يقف إلى جانب العالم الذي غدا هجيناً.. كرويليا" متحركا، والذي هو جزء منه، أعداؤه الرئيسيون هم أصحاب النقاوة العرقية ودعواتهم عن الحدود والنقاوة".

### التعدد الثقافي

يوضح الكتاب أنه من الأرجح أن الأشخاص الذين هم من نمط سلمان رشدي يمثلون المستقبل، إلا أن جوقة صاخبة من الأصوليين المتدينين والرومانسيين القومييين والساسنة المغرورين تبذل ما بوسعها من أجل إسكات هؤلاء الناس ووصمهم بالخيانة أو، على الأقل، تهمة شهم والتقليل من أثرهم من خلال تصويرهم على أنهم حفنة صغيرة من الناس.

ويرى أريكسون في الكتاب الذي ترجمه عن النرويجية نزار أجري وصدر عن دار خطوط وظلال الأردنية أن إحدى أهم الخطوات التي قامت بها الإنسانية بعد الحرب العالمية الثانية تقوم في الاعتراف المتصاعد بالأقليات والتخفيف من وطأة "الإمبريالية الثقافية" من جانب المجتمعات الصناعية. وقال "لقد أصبحت حقوق الأقليات والحقوق الثقافية جزءا لا يتجزأ من الواقع اليومي السياسي في الكثير من البلدان، وشيئا فشيئا دخلت فكرة النسبية الثقافية في قوانين ودساتير الكثير من البلدان، مثل الولايات المتحدة وكندا

# السعودية تعيد نشر كتب الرحالة الفرنسي تيري موجيه المتيم بالصحراء

الرياض - أعادت هيئة الأدب والنشر والترجمة السعودية نشر كتب الرحالة الفرنسي الراحل تيري موجيه، التي رصد من خلالها مظاهر الثقافة والحياة في جنوب المملكة خلال فترة الثمانينات الميلادية.

وأخيرا دشنت الهيئة الكتب التي أعادت طباعتها وتقديمها للقراء ومحبي الاستكشاف، وذلك في حفل أقيم بحي جاكس في محافظة الدرعية، بحضور نائب وزير الثقافة حامد بن محمد فايز، والرئيس التنفيذي لهيئة الأدب والنشر والترجمة الدكتور محمد حسن علوان، ووفد من السفارة الفرنسية بالمملكة، وعدد من المسؤولين بهيئة تطوير منطقة عسير، وإمارة منطقة جازان، والباحثين والمهتمين.

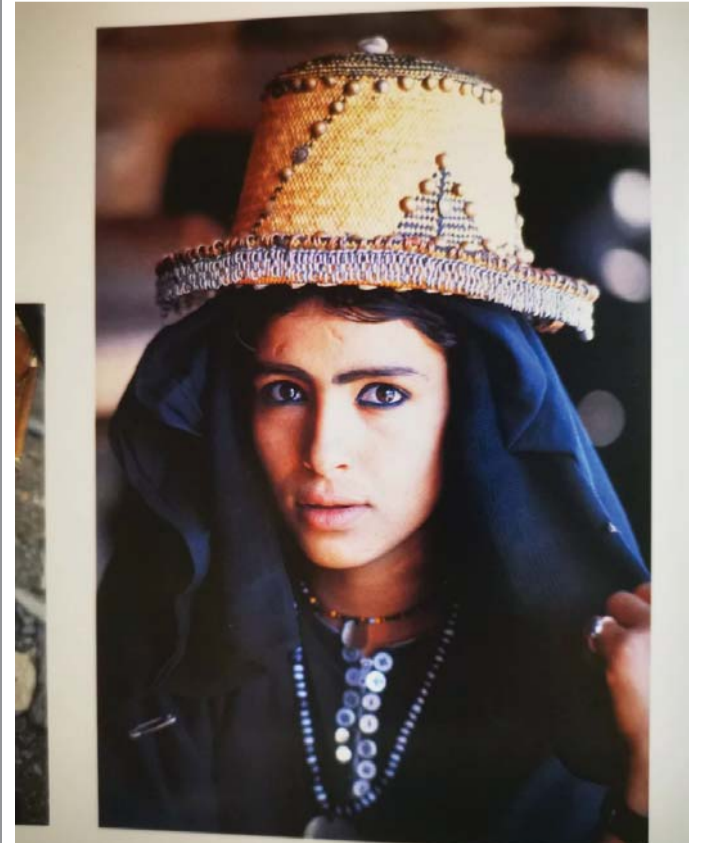
ويبدأ الحفل بكلمة للرئيس التنفيذي لهيئة الأدب والنشر والترجمة أوضح فيها أهمية كتب الفرنسي موجيه، بوصفها توثيقا دقيقا لمظاهر الفنون والثقافة في جنوب المملكة العربية السعودية خلال فترة الثمانينات من القرن الماضي، مؤكدا أن الهيئة تولي اهتماما بالمؤلفات التي وثقت جوانب من ثقافة وتراث الوطن، وتعمل على توفير الدعم اللازم لإعادة طبعتها ونشرها وفق معايير محددة، وذلك لإثراء المكتبة العربية بمحتوى ثقافي يبرز المظاهر الثقافية والتاريخية للمملكة بمختلف مناطقها.

**مؤلفات موجيه وصوره أبرزت الحياة الاجتماعية والتراث والإرث التاريخي لجنوب السعودية في حقب زمنية ماضية**

وأقيمت على هامش الحفل جلسة تكريبات عفوية لسعوديين رافقوا أو ظهوروا في كتب الباحث الفرنسي موجيه، تحدثوا فيها عن المواقف والأحداث التي مروا بها معه خلال رحلاته وتنقلاته في منطقة عسير. واستقبلت الهيئة ضيوف الحفل باكائيل الورد والأزياء الجنوبية وشاشات تفاعلية عرضت مقتطفات من صور وكتب موجيه، إضافة إلى شاشات إلكترونية تصفحوا من خلالها الكتب إلكترونيا، كما وزعت نسخا ورقية للكتب كهدايا لحضور الحفل.

ويعد البروفيسور موجيه من أبرز الباحثين في علم الشعوب، وله مؤلفات مهمة توثق الحياة السعودية خاصة، جمعها من رحلاته المتعددة بين قرى ومدن جنوب المملكة منذ مطلع عام 1979، حين جاء للعمل في المملكة مهندسا للرادارات.

وقد لعبت الصدفة دورا كبيرا في حضور الباحث الفرنسي، صدفة بدأت منذ اللحظة التي شاهد فيها إعلانا



ملاح من حياة الماضي كما صورها موجيه